جمالية التشخيص والتصوير الفني في رواية " خبز على طاولة الخال ميلاد" للكاتب محمد النعاس

د.صوفيان لشهب

جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.

ملخص البحث

تسعى هذه الورقة البحثية للوقوف على قضية التشخيص التي اعتمدها الكاتب محمد النعاس في سرد أحداث روايته "خبز على طاولة الخال ميلاد"، وكذا الكشف عن مختلف التقنيات الحداثية التي وظفها الكاتب لبناء الأحداث وخلق الحبكة، وضمان مبدأ التشويق، فالكاتب منذ بداية روايته حتى نهايتها خلق نظاما تفصيليا وتحليليا دقيقا في سرد الأحداث، على الرغم من عدم التزامه بالتتابع المنطقي للأحداث، إلا أن هذا ساعد في كشف الواقع الاجتماعي الليبي والعربي، وعكس للقارئ علاقة الرجل العربي بالآخر الأنثوي.

الكلمات المفتاحية: التشخيص، الوصف، الزمن، الشخصيات، المكان.

Aesthetic diagnosis and artistic photography in the novel " bread at the table of uncle milad" by the writer Muhammad al-naas.

Dr.Sofiane lacheheb

Department of Arabic Language And Literature, Faculty Of language And literature, University Mouloud Mammeri Of tizi ouzou, Algeria

Abstract

This reserch paper seeks to identify the issue of diagnosis adopted by the writer Muhammad al-naas in narrating the events of his novel "bread at the table of uncle milad", as well as revealing the various modernist techniques that the writer relied on to build events and create the plot, and ensure suspense, the writer from the beginning of his novel until the end, created a detailed and analytical narrative system in the narration of the events, despite his lack of commitment to the logical sequence of events, but this helped to reveal the libyan and arab social reality, and reflected to the reader the relationship of the arab man whith other femal.

KEYWORDS: Diagnosis, The Description, time, characters, place.

مقدمة:

تندرج رواية "**خبزٌ على طاولة الخال ميلاد**" للكاتب محمد النعاس، ضمن الرواية العربية الحداثية التي تواكب الأعمال الروائية الغربية من حيث الشكل والمضمون، إذ يمكن لأي كاتب أن يملك ملكة الخيال والمهارة في الكتابة، إلا أن طريقة التصوير والتشخيص تختلف باختلاف الآليات والمرجعيات والأحداث التي ترويها تلك الرواية، فمهما كان النوع الأدبي إلا أنه بحاجة إلا وسائل وتقنيات معينة تساعده على هذا الوصف، والكاتب من خلال تحكمه بالأحداث والحبكة والتشويق الحاصل فيها، استطاع أن يقوم ببناء عمل روائي حداثي مواكب للأعمال الروائية الغربية الحداثية ، ولعل هذا ما جعل الرواية تتحصل على جائزة البوكر لسنة 2022 والتي قامت على استعادة تجربة شخصية في ضرب من

الاعترافات المشوقة، وعلى الرغم من فوضوية بنائها ووعدم التزم الكاتب بالتتبع المنطقي لوقوع الأحداث، إلا أن الكاتب سعى إلى تقديم نقد لاذع للتصورات السائدة عن واقع الرجل والمرأة في المجتمع العربي.

يكتشف القارئ للرواية مدى قدرة الكاتب في بناء الأحداث والتحكم بالبنيات الأساسية للعمل الروائي؛ كالوصف والسرد والتلاعب بالزمان والمكان والشخصيات، ولاسيما تأثره بالحداثة وما بعدها في الرواية الغربية المعاصرة، حيث يتتبع الجزئيات ببعديها الزماني والمكاني ويصور مدى تفاعل المكان مع بقية العناصر الأخرى، لاسيما الأحداث والشخصيات، ما يؤدي إلى جعلها مسرحا لتداخل الأصوات الأيديولوجية وتصارعها في مجال أوسع، ومن هذا المنطلق نقع في إشكالية قراءة الرواية من منظور مدى نجاح الروائي محمد النعاس في قدرته على تشخيص المبنى الروائي؟

أولا: شعرية التشخيص الفني في الرواية:

تقوم أحداث الرواية على تأثيرات الأمثال الشعبية المنتشرة في ليبيا والمرتبطة بمفهوم الرجولة في المجتمع العربي والليبي على وجه الخصوص، حيث يبتدئ الكاتب روايته بالمثل القائل " **عيلة وخالها ميلاد**" وهو مثل ليبي يقال للعائلة التي لا يحكمها الرجل، ولكن ميلاد كما صوره الكاتب هو ذلك الشاب البريء الذي يحب أخواته ويحترم النساء ويحاول أن يتحدى المعتقدات التي فرضت على المجتمع الليبي في التعامل مع العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، وبين كل فصل وآخر يطرح الكاتب مثلا قديما يعكس ثقافة موروثة للتعامل مع قيم العائلة والتفرقة بين الذكر والأنثى، حيث تربى ميلاد بين أخواته الأربعة، ثم تزوج زينب التي تسعى إلى أن تتحدى هذه القيم بفرض قيمها الخاصة على زوجها الذي عرفته منذ اللحظة الأولى ليحمل في قلبه تلك القابلية للتعاطف مع المرأة والانحياز لها.

تدور أحداث الرواية حول شخصية رئيسية هي ميلاد الأسطى، ضمن مجمع ريفي متكون من شخصيات رئيسية وثانوية كابن عمه العبسي، والده، أخواته، زوجته زينت، وشخصيات أخرى ساهمت في تكوين شخصية ميلاد وبناء هذا العمل الروائي، وكان الخبز ومهنة الخباز هي المكون الأساس في هذه الشخصية، ولكن ذكور العائلة يلاحقون ميلاد بمعتقداتهم حتى يتحول في آخر سطر من الرواية إلى شخص آخر.

إن أجمل ما يميز الرواية هو الرمزية التي يحملها عنصر الخبز، فالكاتب أراد أن يقول للقارئ أن الخباز الحقيقي لا يخون الخبز، وكذلك الرجل فإنه لا يخون المرأة التي يتقاسم معها ألم الحياة وفرحها، وبأن هذا

الرغيف هو ميثاق غليظ يجب احترامه، وهو أهم المواثيق بين الرجل والمرأة، فالخباز لا يستطيع أن يخبز خبزا شهيا إلا إذا كان قلب خبازه صافيا، وتفكيره خال من الضوضاء، وهكذا يرث ميلاد عن والده الخباز حبه للخبز ويزيد عليه حبه لممارسة الطبخ والغسل وكل ما يراه المجتمع وظيفة للمرأة، بينما تذهب زوجته كل صباح إلى وظيفتها.

ثانيـا: التشخيص الوصفي في الرواية:

لا تتحدد الرواية بسماتها الشكلية بقدر ما تتحدد بمدلولها المرتبط عادة بالتخييل، وهي بذلك عكس الشعر الذي يخضع لنظام لغوي خاص وبناء شكلي معين، فالرواية تخضع لقواعد كتابية خاصة بها، كما أن الموضوعات التي تتطرق إليها تحدد كينونتها كجنس أدبي مستقل بذاته، ولأنها تسرد أحداثا تدور بين الحقيقة والخيال أو ترسم شخصيات خيالية فإن الروائي ينسج حبكات متزامنة مع الواقع الذي يعيش فيه.

تنبني رواية " **خبز على طاولة الخال ميلاد**" على مجموعة من البنى الفنية والآليات التي تشترك فيها مع الخطابات الأدبية الأخرى، والتي تعمل بدورها على تأسيسه وتشكيله في مبنى خاص بها، ومن بين هذه الآليات والتقنيات؛ ظاهرة **"التشخيص الفني"** الذي يسعى فيه الكاتب إلى إظهار مكونات السرد ومدى تداخلها بمختلف العوامل التي تتصل بالسارد، فالتشخيص ببساطة من أبرز العناصر الفنية التي يكشف من خلالها الكاتب عن خبايا مكونات السرد ودوافعها النفسية للقيام بالفعل.

يعتمد الروائي محمد النعاس على طرق مختلفة أثناء تشخيصه لأحداث الرواية، فهو يعتمد على طريقة تحليلية دقيقة ومفصلة من الخارج فيحلل العواطف والأفكار حتى يصل إلى إصدار أحكام وتصورات، وفي بعض المقاطع نجده يعتمد على **الطريقة التمثيلية** التي تساعده في أن يسمح في التلاعب بالأحداث، الشخصيات، الزمان والمكان، فيعبر عن الحالة من خلال الكلام والحركة، وهذا ما يميز الرواية الحداثية التي يجتمع فيها أكثر من أسلوب للتشخيص والسرد، فيكون مزيجا بين بناء الحدث وتحليل الكاتب له فيسيران في مسار واحد جنبا الى جنب.

هيمن التشخيص التحليلي المباشر على البناء السردي للرواية، وهي الطريقة التي اعتمدها الكاتب في تقديم روايته وذلك بشكل تقريري مباشر من دون أي مواربة أو تعمّل، حتى أن القارئ لا يجد أية صعوبة في الاهتداء إلى طبيعة الأحداث وسماتها ومزاياها الخارجية والداخلية، ويتم التشخيص المباشر من خلال الوصف والسرد.

1- وصف الشخصيات:

يعتبر الوصف من أقدم وأهم الطرق في تقديم شخصيات الأعمال السردية وتحديد سماتها الداخلية والخارجية؛ كالشكل وطول القامة ولون البشرة والنزعات النفسية والصراعات العاطفية والخيالات، لذا صار الوصف مجموعة من النظم والقواعد والرموز التي يعتمد عليها الكاتب في تحديد وتصوير شخصيات روايته، فهو أسلوب إنشائي مهمته نقل مجموعة المظاهر الحسية وغير الحسية من العالم الخارجي إلى ذهن المتلقي، ولا تقتصر أهمية الوصف على صفات الشخصية بل يتعداها إلى الكشف عن انتماءاتها ومستواها البيئي المعيش، فمن هنا صار الوصف بمثابة عين القارئ التي تلاحق وترصد كل ما يتعلق بشخصيات الرواية.

تعد الشخصية من أهم العناصر المرتبطة بالتشخيص الفني في الرواية، ذلك أنها من أهم العناصر المكوّنة للأعمال الإبداعية السّردية إذ يتحكم الأديب فيها ويوظفها وفق السياق والأحداث والزمان والمكان، ولكل شخصية دور تؤديه لإضفاء الطابع الحكائي للنص السّردي، فالشخصية "**هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وهي عموده الفقري الذي ترتكز عليه.**" (قيسمون، 2000ص195.) فلا يمكن تصور أي عمل سردي بدون شخصيات.

تشير الشخصية **" إلى الصفات الخلقية والجسمية والمعايير والمبادئ الأخلاقية ولها في الأدب معاني نوعية أخرى، وعلى الشخص الأخص ما يتعلق بشخص تمثله رواية أو قصة**" (فتحي، 1988، ص195.)، فهي كل المميزات التي تميز الشخص عما سواه، سواء أكان في الواقع أو في متن الإبداع الرّوائي، بينما تستعمل كلمة التشخيص **للدلالة على أداء دور شخصية ما، أي التمثيل بالمعنى العام، أما كلمة الوجه أو الشخص فهي تعني بالأساس تجسيد الأفكار المجردة وتصويرها على شكل أشخاص ثم صارت تدل على التمثيل.** (قصاب، 1997،ص296.)

تنقسم شخصيات الرواية إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، أما الرئيسية فتتمثل في شخصية ميلاد التي أعطاها الكاتب كل الاهتمام من بداية الرواية إلى نهايتها، وقد اعتمد على التشخيص المباشر لها والقائم على عنصري الوصف والسرد لتقديم الصورة الحقيقية لشخصية ميلاد، حيث يقول الكاتب على لسان ميلاد: **" أنا ميلاد الأسطى. كثيرون يقولون أنني شبيه بالشاب خالد حين كان نحيفا، وحيد وسط أخواتي. ولدت في الظهرة بأحد الأزقة المطلة على الكاتدرائية".** (النعاس، 2022، ص10) فالوصف

الذي قدمه الكاتب لشخصية ميلاد فيه من المباشرة ما ينقلنا إلى طبيعة الشخصية وما يرتبط بها من علاقات داخلية خاصة وهو ما ارتبط بحياة ميلاد الأولى، ذلك أن الكاتب يستذكر للقارئ الذكريات التي عاشها ميلاد منذ كان صغيرا وهو بذلك يقدم لنا تشخيصا عاما، ينقلنا إلى الفترة الأولى من حياته، حيث يقول في مقطع آخر: " **درست في الظهرة المرحلة الابتدائية، وصدحت بالنشيد الوطني بكل رحابة صدر في ساحة مدرستها .... في الرابعة عشر من عمري قرر والدي وعمي العودة إلى مسقط رأس جدي في قرية بئر حسين، ... في سن الرابعة صرت ألعب مع أختي الصغرى. في الخامسة حاولت عقد صداقات في المدرسة وفي الحي،... في السادسة أصبحت أجالس أخواتي الكبريات.**" (الرواية، ص11.) فالتشخيص الذي يقدمه الكاتب عن شخصية ميلاد ومراحل حياته الأولى هو عملية أدبية حداثية لتصوير مدى صدق شخصية ميلاد، لاسيما أن هناك العديد من المحطات في بناء الشخصية وهذا مع مراعاة فكرة التلاعب بالمكان والزمان، والنتيجة من كل هذا لمس صدق شخصية ميلاد التي تتغير بين كل فصل وآخر، فقد حاول أن يصف العلاقة التي تربط شخصية ميلاد بعائلته وأصدقائه والعلاقة التي تجمعه بهم، حيث يصرح قائلا على لسان ميلاد: " **لدي أربع أخوات: واحدة تصغرني سنا، وثلاث يكبرنني، في الثامنة بدأت أساعد أبي في الكوشة. وفي الخامسة عشرة سمح لي بتعلم إعداد الخبز.**" (الرواية، ص11) فمقصدية الكاتب هي رسم ملامح هذه الشخصية بتشخيص مباشر وسهل، وهو ما يعمل على تشخيص الشخصية خارجيا، ولأن الشخصية رئيسة فهي تستوجب اهتمام الكاتب بها عن سائر الشخصيات، ولأن الكاتب استعان بضمير المتكلم ليعبر عن شخصية ميلاد فإن هذا خلق لنا شخصية محورية ينبني عليها العمل الروائي، وأن المتلقي ينشغل بها دون غيرها من الشخصيات، ولأن التشخيص المباشر يخدمها، فإن الكاتب ركز عليها من بداية الرواية إلى نهايتها باستعمال ضميري المتكلم أو الغائب.

بينما تحمل الشخصيات الثانوية الكثير من الخصائص التي ساعدت في بناء الرواية، والتي كان لها ارتباط وثيق بشخصية ميلاد، فكانت كل شخصية لها ذكرى خاصة في ذاكرة ميلاد، ومن بين هذه الشخصيات، شخصية العبسي التي رافقت ميلاد في العديد من الأحداث التي يرويها الكاتب، ومن ذلك التشخيص الذي قدمه لها، حيث يقول في أحد المواضع:" **كانت لعبسي شخصية كوميدية جذابة تستقطب الشباب. فهو ملم بأحوال الحي، وبأسماء الأرواح فيه من العصافير الصغيرة حتى الرجال الكهول والأشجار... كان ثائرا على قوانين المجتمع التي تفرض عليه العمل... لم يكن صحفيا. ولم**

ينه الثانوية العامة مطلقا. العبسي كان ذكيا. تمنيت دوما أن أكون مثله". (الرواية، ص18) فالعبسي من الشخصيات المثالية التي انبنت عليها أحداث الرواية، فالكاتب كثير العودة إليها لقربه من شخصية ميلاد، ونظرا للصفات التي تتصف بها هذه الشخصية التي أصبحت شخصية ميلاد تتمنى أن تكون مثلها، فهو من الأصدقاء المقربين لميلاد.

ومن بين الشخصيات التي أسست للبناء الروائي شخصية **"المدام"** التي يعود إليها الكاتب ويذكر القارئ بها دون أن يعرف بها، حيث يقول في مدخل الرواية: **" آه أهلا، لقد جئت في الموعد المناسب. أشكرك على رغبتك في لقائي، أخبرتني المدام بمدى لهفتك على معرفة ما أود البوح به، لا داعي إلى الخجل."** (الرواية، ص03) فكأنما شخصية المدام هنا أداة ورابط استعمله الكاتب للدخول في سرد أحداث روايته فمن الاتصال الأول جعل منها مرجعية لسرد حياته. حيث ينطلق في سرد أحداث روايته والتشخيص بنفسه، مما يحبه، أو يتصف به، كحبه للشاي بالقرفة، وتنظيفه للبيت قبل أن تستيقظ زوجته زينب، وغير ذلك. فالكاتب استطاع بهذه التقنية أن يدخل القارئ في أحداث الرواية دون أن يشعر ويستغل شخصية افتراضية لصنع الحبكة الأولى التي بدأها في المقطع الأول ليدخل في مجال طويل من السرد.

استطاع الكاتب أن يشغل القارئ بتشخيص شخصية ميلاد وينسيه السبب الأول لبداية القص، بالاعتماد على تقنية الزمن المتشعب الذي يشوش القارئ، فتجد الكاتب ينتقل من نظام سردي معين إلى نظام سردي آخر عن طريق تطبيق نظام(1-2-1-2) وعلى القارئ أن يربط بين كل مقطع، حيث ذكر شخصية المدام في المقطع الأول وتناساها في المقطع الثاني لينتقل إلى سرد أحداث مرتبطة بالخبز والكوشة، ليعود في المقطع الثالث (1) ويذكرنا بمسار القصة الرئيسة حيث يقول:" **آه؟ هذه ليست بداية قصتي حسب ما أخبرتك المدام؟ أعتذر، فقد أخذني الحماس دون أن أدع لك مجالا للأسئلة، أو للبحث عن بداية القصة."** (الرواية، ص10) فالكاتب باستعماله لهذه الطريقة استطاع تشويش القارئ، ولهذا يتوجب عليه الربط بين المقطع والآخر، كما أن الكاتب استطاع أن يضم القارئ لأحداث روايته بجعله عنصرا فاعلا في الاستماع لقصته. وبهذا يكون التشخيص الذي اعتمد عليه قد ساعد في التعريف بالشخصيات وهو ما يتجلى في تشخيصه لكل من شخصية.

2- تشخيص الأمكنة:

يسعى السرد إلى نقل الحوادث من صورتها المتخيلة إلى صورتها اللغوية، فالعرض الروائي يعني تقديم الحوادث والشخصيات بحيث تبدو مقنعة للمروي له ويختلف السرد عن الوصف من منطلق أن الأول وصف للأفعال والثاني وصف للفاعلين، ويختلف السرد عن الوصف من ناحية التشخيص في أن التشخيص عن طريق السرد لا يؤدي إلى إيقاف عملية القص، على خلاف التشخيص بالوصف الذي يؤدي إلى انقطاع جريان السرد وأحداثه.

اكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة لأنه أحد أهم عناصرها الفنية والجمالية، ولأن المكان تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات فإنه يتحول إلى فضاء متميز، فيكون عنصرا مهما في تطوير بناء الرواية، ولهذا فإن المكان خلفية تتحرك فيها الشخصيات وتقع فيها الأحداث، **"فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، وهي فوقها كلها ليصبح نوعا من الايقاع المنظم لها"** (الفيصل، 1995، صفحة 120) فالمكان عنصر أساسي في الرواية يدخل في تطويرها وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، ومن ذلك ما اعتمد على تصويره الكاتب والذي يتمثل في:

أ- **الكوشة:** أو المخبز في اللهجة الليبية، وقد ارتكزت عليها أحداث المشهد الأول من الرواية حيث عنونه الكاتب بالمخبز وهو مكان عمل ميلاد ووالده، وقد قام الكاتب بتشخيصها من خلال مجموعة من التصورات العامة عليها حيث يقول: **" كان والدي يملك كوشة حجزتها الدولة نظرا إلى موضعها الملاصق لمؤسسة حكومية أرادت الحكومة توسعتها.** (الرواية، ص11) فالكوشة أو المخبز هو المكان الذي انطلق منه الكاتب من فترة طفولته حتى نهاية أحداث الرواية مرورا بأماكن أخرى يستغلها في خدمة الحدث، فيأتي بها لإقناع القارئ بواقعية الحدث، أما المكان المحوري فهو الذي يؤثر في القارئ طول أحداث الرواية، ويرافق هذا المكان وصف للمكان وللأمكنة الأخرى وذلك لخدمة التصوير الفني للرواية، والتمهيد للشخصية الغالبة عليه والتي ستخترق هذا المكان حيث يقول في موضع آخر من الرواية: " **بدأت قصتي مع الكوشة عندما تشاجر أبي مع عامل النظافة الذي طالب بأجر أسبوعي أكبر، فضربه أبي وأخبره بأنه لا يستحق حتى أن يدفع له ما يدفعه، وأن ما يفعله هو توسيخ الكوشة وليس تنظيفها."** (الرواية، ص14) فالكوشة هي المكان الذي يتم فيه تمهيد مزاج شخصية ميلاد وسرد الأحداث التي عاشها في طفولته لهذا يصبح هذا المكان **" تعبيرات مزاجية عن الشخصية، لأن الانسان امتداد له، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الانسان."** (ويليك، 1972، صفحة 288)

ب- البراكة: وهي المكان الذي يجتمع فيه ميلاد والعبسي وبعض أبناء الحي، يقول فيها الكاتب:**" كانت ليلة ليلاء. سهرنا في براكة العبسي بالقرب من شجرة التين. تستظل البراكة بظل الشجرة المباركة... في كل ليلة يستقبل العبسي من أبناء الحي ما اختلف. رأيت فيها وجوهًا لم تتكرر."** (الرواية، ص18) فالمكان إذن مجموعة من العلاقات التي تترابط مع الشخصيات لتبني الفضاء الروائي، الذي تجري في أحداث الرواية، وباستذكار هذا المكان فإنه أصبح عنصرا أساسيا من العمل الروائي ومن أحداث الرواية.

ج- المعسكر: شكل المعسكر نقطة بارزة في تغير الأحداث وبنائها، من خلال تغير شخصية ميلاد الذي انتقل من محيطه العائلي إلى محيط جديد فيه من المعاناة ما جعله يعيش أسوء أيامه، فقد كانت العسكرية مرحلة انتقالية في حياته نظرا للحياة الرخوة التي كان يعيشها، فذهب الكاتب إلى تصوير المعسكر والعسكرية وكأنها بيت الرعب لكل شاب لسيما الصعوبات التي يعيشها فيها، ولذا ابتدأ هذا المقطع بالمثل الليبي القائل: " تعيش يوم ديك ولا عشرة دجاجة" ويطلق هذا المثل عن الرجولة، فعلى المرء أن يعيش رجلا صاحب مواقف، ولأن الرواية لا تكتمل إلا بتوظيف هذه الأمكنة فقد جعله يستحوذ على فصل كامل يقول الكاتب: **" في المعسكر، تسلقت الحبال، وجريت مسافات لم أفكر يوما في قطعها مشيا، ذبحت الارانب بيدي ومزقت جلودها بأظافري.** (الرواية، ص67.) **فالمعسكر باب المغامرات لميلاد رغم القساوة والصعوبات التي عاشها فإنه عاش رجلا رغم كل الضغط والترهيب النفسي الذي عاشه، وهو الذي جعله يفكر في الهروب منه حيث يقول: " في المعسكر، جاءت ليلة الفرج. كنا جاهزين للتخلص من هذا العذاب الذي أثقلنا به المادونا. كان آخر أيم التدريب، بالنسبة إلي.** (الرواية، ص93.)

3- التشخيص عن طريق التلاعب بالزمن:

يعتبر الزمن عنصرا فاعلا في بناء العمل الروائي، فهو من أهم عناصر بناء العمل الروائي فلا يمكن تخيل رواية من غير زمن، **غير أن هذا الزمن يتفرع إلى زمن خاص بأحداث الرواية، وزمن متعلق بالكتابة، وزمن متعلق بالقراءة.** (بوتور، 1971 ص101.) ولأن الرواية تقع بين زمنيين مختلفين؛ زمن الكتابة، وزمن القراءة، بينما تشكل الفترة التي تجري فيها فترة القصة، زمنا داخليا للرواية، لذلك يرى رولان بارث أن **" زمن الكاتب هو زمن عملي وليس زمنا تاريخيا."** (barthes, 1964 p10.) ما يعني أن زمن الكاتب لا يتعلق بما يجري من أحداث الرواية، ولا يرتبط بواقع قصتها.

يحتاج الكاتب إلى نظام زمني لخلق تتابع في الأحداث، فتارة ما نجده يوزع الأزمنة على فضاء النص الواحد فيخدم حركيته ويهيئ أرضية بنائه ما يساعد في قراءته، والنظام الزمني حسب جيرار جينيت هو: **" دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما أو مقاربة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الاحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأن نظام القصة تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك."** (جينيت، 1997 ص47.) ومنه فإن قراءة رواية "خبز على طاولة الخال ميلاد" يحدد لنا مفارقات زمنية تفرز حركتين زمنيتين هما الاسترجاعات والاستباقات، والمفارقات الزمنية هي؛ خروج الكاتب عمدا أو عن غير عمد عن الترتيب الزمني، وتتجلى في تقنيتي الاسترجاع والاستباق.

أ- **الاسترجاع:** هو العودة إلى ما قبل نقطة الحكي، أي استرجاع حدث كان قد وقع قبل الذي يحكى الآن، والاسترجاع حسب تزفيطان تودوروف هو **العودة إلى الوراء**، (طودوروف، 1990، ص48) وهو حسب جيرالد برنس " **مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، إنها استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر**" (برنس، 2003، ص16) وهذا ما سنوضحه فيما يأتي:

زمن الحكي ــــــــــ1 ــــــــــ2ــــــــــ3

زمن الاسترجاع ــــــــــ3 ــــــــــ 2ــــــــــ 1

استغل الكاتب تقنية الاسترجاع أو العودة إلى الخلف لبناء الزمن، عبر مشاهد مختلفة تجعل القارئ قارئا لوثيقة نفسية لشخصية ميلاد، وتصويرية لواقع المرأة في المجتمع العربي والليبي، وهذا ما جعل الكاتب يستغل تقنية الاسترجاع تارة وتقنية الاستباق تارة أخرى، ما يؤدي إلى خلق نوع من التلاعب بالزمن حيث يتجلى الاسترجاع في قول الكاتب:**" في الكوشة ترعرعت على الصبر، التركيز، احترام الوقت، وتعلمت قوة الملاحظة. مازلت أذكر أول رغيف خبزته. كنت أشاهد أبي كعادتي، أضع ذقني فوق عصا الشطافة وأراقبه من بعيد منغمسا في علاقة حبه. كان ينفخ الدقيق العالق بيديه...."** (الرواية، ص22.) فالكاتب عن طريق تقنية الاسترجاع استطاع أن يعود بالقارئ إلى علاقة ميلاد بالمخبز وبداياته الأولى فيها، واصفا علاقته بها وبوالده الذي كان يتعلم منه طريقة تحضير الخبز، وبعودته إلى الماضي فإنه يشغل القارئ بقراءة الحوادث التي عاشها ميلاد والتي ضمنها داخل كل مقطع رغم انقطاعه عن القص، وبهذا يكون الكاتب قد استرجع أحداث الماضي وعرّف بشخصية ميلاد وواقعه الاجتماعي

والثقافي، الذي يمثل طبيعة الفرد في المنطقة من منطلق الرؤية الوجودية التي يطرحها في مخيلة القارئ وبهذا يكون قد تمكن من خلق تداخل روحي بينه وبين المتلقي.

إن الاسترجاع هنا سرد حكائي وومضات من حياة ميلاد عاشها في صغره والكاتب قام باستذكارها، والاستذكار الذي يتجدد في كل مقطع هو تمهيد للسؤال وللاسترجاع الذي يظهر في النص الذي يليه، حيث نجده يستذكر أحداثا أخرى قد ذكرها في المقطع الذي سبق حديثه عن الكوشة، ليعود من جديد فيذكر القارئ من جديد حيث يقول: **"أعتذر عن الإطالة، ولكن بدا لي أن عليك معرفة كل هذا، حتى يمكنك قبول ما سأقوله الآن. زينب وأنا واجهنا مصاعب شتى هددت حبنا، وأكثر من مرة وجدنا أنفسنا في مفرق طرق، ربما كانت هي الطرف الأضعف أمام كل هذه الخيارات والقرارات التي كان علينا اتخاذها...."** (الرواية، ص191.) فالكاتب عمل على كسر خطية الزمن التي ابتدأها في الزمن السابق بإثبات وجوده المتقدم عن القارئ ووضعه في متاهة زمنية، وبهذا خلق لنفسه وجودا، على الرغم من أنه على دراية بالأحداث، فهو في موقع السارد العليم وهذا ما يظهر في المقاطع الأخرى باعتبار أن الكاتب مسترجع وقاص لأحداث سابقة وعلى دراية بها وأنها تمر على حياة الفرد وتدور في مخيلته، وهذا ما لفت انتباهه لحظة اخبار القارئ أن هناك غرفة للأطفال في بيت ميلاد حيث يقول:" **قد تسأل نفسك: كيف يمكن لزوجين أن يبنيا غرفة للأطفال في منزل لا طفل فيه؟ حسنا، بدأت القصة في العام السادس من زواجنا، بعد محاولات عديدة للإنجاب.**" (الرواية، ص102.) فالكاتب استطاع أن يتحكم في مسار الأحداث عبر الاسترجاعات الزمنية الخارجية والداخلية، وهي الأحداث التي تعود إلى ما قبل القصة وإلى ما قبل إطارها الزمني، والكاتب تأخر في سردها لتداخل الأحداث، لذلك يغلب عليها الافتتاحيات بقوله: قد تسأل نفسك؟ وهذا لتذكيرنا بقصة الانجاب التي مرت عليها سنوات عديدة، فيكون السارد عليما بالأحداث قبل وقوعها وأن القارئ مستمع ومتتبع للأحداث التي يراها غير منظمة، لكن الكاتب استطاع أن يقسم الاسترجاعات إلى ما هو داخلي أو خارجي أو يمزج بينهما.

يعود الكاتب في روايته إلى أحداث عاشها في الماضي ليوهم القارئ بأنه يتجه إلى الوراء، غير أن الكتابة هنا في اتجاه حقيقي وخطي يبقى الكاتب فيها مجرد سارد لأحداث عاشها في الماضي تندمج مع حياة القارئ ما يولد صورة استرجاعية في مخيلة القارئ وهذا ما يتجلى في الفصل الثاني من الرواية باسترجاعه للأحداث التي عاشها في المعسكر حينما دخل العسكرية حيث يقول: " **في هانيبال، بعد عام من انتهاء حرب تشاد، دخلت العسكرية. كان الحر القائظ يحرق سحنتي الضعيفة. أتذكر أني، لفرط**

حماقتي، دخلت المعسكر بملابسي المدنية. كان الباص الذي يقلني مليئا بالشباب من صغار السن مثلي، أو أقل قليلا." (الرواية، ص53.)

استطاع الكاتب من خلال الاسترجاعات التي تروي الواقع الاجتماعي والثقافي الخاص بشخصية ميلاد، وبهذا تتوالى الحكايات والاسترجاعات التي صورها بطريقة شعرية أو في قالب شذري، تظهر لبنته الأساسية من خلال اتباع المنحى التتابعي للأحداث التي تروي واقعا تاريخيا أو سياسيا أو دينيا وحتى فلسفيا، باعتبار أن الشاعر فضل التصوير الميتافيزيقي لفه الأشياء في عديد من النصوص والعنوان أكبر دليل بانطلاقه من مبدأ الشك الذي يمكنه من تصوير ما يخدمه.

إن هدف الشاعر من استرجاع الأحداث في قالب شذي هو تعريف الشاعر بنفسه وكذا مقدرته على التصوير خاصة إن كان التصوير بطابع رمز وبطريقة مكثفة تستلزم تفكيك الوحدات النصية لبلوغ مقصدية الشاعر المضمرة، وبهذا فإن التصوير والتوالي في الاسترجاعات هو استثارة للقارئ لتفكيك ما لم يقله النص، حيث لا تخلو الاسترجاعات من اخبارنا بحال السارد نفسيا واجتماعيا وبهذا يصور ما هو مادي وماهو ميتافيزيقي بهيمنة رموز على شخص السارد .

ب- الاستباق: الاستباق هو **"عملية سردية تتمثل في ايراد حدث أو الاشارة إليه مسبقا"**، (المرزوقي، د.ت، ص80.) وعليه فإن الاستباق في السرد الحكائي إذا ما اعتمده الكاتب فإنه يقدم تمهيدا لما سيحدث لاحقا، بطريقة مضمرة تعمل على تحقيق الحدث، وعلى الرغم من تلاعبه بالمسار الزمني إلا أنه استغل الاستباق الزمني ليحدد لنا المستقبل وهذا ما يتجلى في الاستباق الذي وظفه الكاتب حين يقول:" **بعد ساعتين من الحديث مع العبسي، أخبرني بأنه قد رأى زوجتي تركب سيارة أحدهم بالمؤسسة، فلم أتمالك نفسي، وخرجت مسرعا ألهث بحثا عن مكان يتلقفني. وجدتني أمام البحر ليلا."** (الرواية، ص72.) فهذ الاستباق هو حكي لحدث قبل وقوعه، فهو توقع للخيانة الزوجية من زينب لميلاد، وانتظار لما سيقع لكن ذلك لا يعني ضرورة تحقق هذا الحدث، وهذا ما بينه الكاتب في المقاطع الأخرى حيث يقول: " **أحلف لك يا ميلاد، وأنت تعرف أنني لا أحب أن أحلف كاذبا، لقد رأيتها بأم عيني، وهي تركب السيارة مع المدير العام للمؤسسة. ركبت في الكرسي الخلفي.... المهم رأيتها تركب سعيدة في سيارة المدير.** (الرواية، ص73.)

اعتمد الكاتب على مستمع داخل الرواية يقص عليه أحداثا عاشها في حياته، فهل يعتبر كل مستمع هو القارئ أم أنه الكاتب الذي أرسلته المدام ليدون حياة ميلاد، فهذه من الاستباقات التي ضمنها الكاتب في روايته بذكر أحداث وقعت وهو عالم بها لكن عملية السرد أجبرته على تأجيلها، لذلك يغلب عليها الافتتاحيات وبهذا لا يقع الكاتب في إشكالية تصنيف الرواية ضمن الرواية السيرية لميلاد، خاصة أن الرواية تحكي للقارئ حياة ميلاد التي تقع بين الحقيقة والخيال، وهذا ما أكده في بداية الرواية حيث يقول:**" آه أهلا، لقد جئت في الموعد المناسب. أشكرك على رغبتك في لقائي، أخبرتني المدام بمدى لهفتك على معرفة ما أود البوح به لا داعي إلى الخجل."** (الرواية، ص03.) غير أن هذا من بين التقنيات التي اعتمدها محمد النعاس في كتابة روايته والتي تتكرر في جميع المقاطع، فالاستباق المختلط يجمع بين الأحداث السابقة لحدوثه، والأحداث التي تقع بعد بداية القصة، وهذا ما يبين أن الاستباق هو معرفة الحدث قبل وقوعه وذلك ما يتجلى في قوله:**" هل أخبرتك أني أحب البخور؟ أعرف أن كثيرا من رجال الحي يحبون العطور الرجالية..."** (الرواية، ص98.) فالسؤال الذي استبق الكاتب به حديثه يليه جواب تفصيلي، وسرد لأحداث ووقائع حصلت معه، وهذا ما يبين الكاتب اعتمد على المفارقات الزمنية ليشخص ويصف حياة ميلاد بجزئياتها، وأن التلاعب بالزمن ما هو إلا طريقة لبين على قدرته في التحكم بالبناء العام للرواية، وأن التشخيص الزماني والمكاني.

خاتمة:

من بين النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية التي تطرقت إلى قضية التشخيص في الرواية، أن الكاتب اعتمد على الأسلوب المباشر في الوصف والتشخيص وبناء السرد، فساعده ذلك بالاشتغال على مجموعة من القضايا الاجتماعية والثقافية، وطرح أفكار أيديولوجية يعيشها المجتمع الليبي العربي، فالكاتب بهذا التصور يدعو إلى التخلي عن الأفكار السائدة في المجتمع والتحرر من القيود الإجتماعية الظالمة للسلطة الذكورية أو الوجود الأنثوي.

إن الرواية قارئة للواقع الاجتماعي السائد في ليبيا والوطن العربي، والأحداث تجسد شخصية الرجل العربي المحافظ، وتسعى لإيصال هذه الفكرة، القارئ يلاحظ ذلك التشخيص الدقيق الذي يمس شخصية ميلاد، والكاتب حافظ على وصفه الدقيق لجميع الأمور والحوادث التي يقوم باسترجاعها واعادة سردها للقارئ، وبما أنه تمكن من التحكم في ركائز السرد، راح يزرع مجموع الأفكار المنتشرة في الوطن العربي، من ذلك طبيعة الرجل، مكانته ودوره في البناء الاجتماعي.

إن رمزية الخبز ومحيط انطلاق الشخصية ساهم في وضع أرضية صلبة لسرد الأحداث، وبالعودة إلى الأفكار المنتشرة في الرواية يلاحظ القارئ تمكن الكاتب ودقته في الصف والتشخيص وهذا ما خلق نصا مميزا ببنائه وتطورات أفكاره.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، د.ط، 1988.

- تزفيتان طودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/ المغرب، 1990.

- جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، ع13، قسنطينة/ الجزائر، 2000.

- جيرار جينيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وآخرون، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، د.ب، 1997.

- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد امام، ط1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2003.

- حنان قصاب وماري إلياس، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1997.

- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، الجزائر، د.ت.

- ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1971..

-roland barthes , essais critiques, seuil, paris, 1964.

رينيه ويليك، وأرين أوستن، نظرية الأدب، تر : محيي الدين صبحي، مرا: حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب، دمشق، 1972.

سمير روحي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.